رسائل الزهريات :

قال أبو جعفر بن أحمد في رسالة أُعجِب فيها بالأنوار على اختلاف أشكالها ، والأزهار على تنوع ألوانها ، يقول :

" فمِن أنوار أينعت ، وأزهارٍ تنوّعت ، فمِن وردٍ كتوريد الخدود ، ونرجسٍ كمُقَل الغيد ، وسوسنٍ كأنّه راحةٌ ثنت البنان على قُراضة من العقيان ، وخيريٍّ كأنما استعار شكله ، أو اختار بذلة المحزون ، وبنفسجٍ حكى زُرق اليواقيت .." .

الأنوار(الزهر بمختلف أشكاله وألوانه) ، **قُراضة**(ما سقط من المعد بعد قرض ، برادة) ، **العقيان** (الذهب) ، **خيريٍّ** (المنثور) .

مقدمة :

التفتَ الكتّاب الأندلسيون إلى الورود والأزهار من ورد وسوسن ونرجس وخيريّ وبنفسج وآسٍ ، وغيرها مما زانت حدائق الأندلس وجنانها ، فألبست الطبيعة ثوباً زادها حُسناً وألقاً ، وقد افتُتِن الكتّاب في وصف ألوانها الزاهية ، وعبيرها الفوّاح وعطرها الشذيّ ، وخلعوا عليها صفات الحسن والبهاء والجمال ، وقد يختص الوصف بزهرة واحدة أو بحشدٍ من الأزهار والورود كما سنرى في هذه الرسالة وهي من الرسائل الوصفية أو ما يسمى برسائل الزهريات ، صوّر فيها أبو جعفر بن أحمد إعجابه الشديد بالأزهار على اختلاف أشكالها وألوانها .

- **معاني النص :**

يتضح انبهار الكاتب بالأزهار والورود المتنوعة من خلال ذكره كثيراً من أنواعها وذكره الصفات التي كانت سبباً في إعجابه بعد ذكره كلّ نوع من أنواعها ، فخلع

ثوب الجمال الذي نجده لدى الحسان الجميلات على تلك الأنوار والورود في محاولة منه تقريبَ مشهد الجمال الذي أبهره فيها .

- **رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:**

أوّل دلالة يمكن الوقوف عندها في هذه الرسالة هي **حلول الربيع** الذي تتفتح فيه الأزهار والورود ، بدليل حديثه عن الأزهار المتنوعة التي أينعت ، وهذا الأمر لا يكون إلا في فصل الربيع ، ويقودنا الكاتب في حديثه عن الأزهار إلى **تعدّد الألوان** فمنها الأحمر (كتوريد الخدود) ، ومنها ما يكون بلون العسل أو أخضر في حديثه عن النرجس ولا سيما عندما شبّهه بـ (مُقَل الغيد) ، والسوسن متعدّد الألوان لكن الكاتب حدّد لونه من خلال تشبيهه بـ (راحة ثنت البنان على قراضة كالعِقيان) ، فلونه أصفر كالعقيان أو الذهب الخالص ، أما الخِيريّ وهو المنثور الذي يتخذ شكل نجمة رباعية ويأتي بألوان متعددة منها الأبيض والأحمر والوردي والأرجواني والبنفسجي والأزرق ، أما (بذلة المحزون) التي اختارها الخيريّ حلةً له فهي آتية من شكل بتلاته بشكل عمودي فوق بعضها البعض ، وانحناء ساقها الذي يحملها وكأنه إنسان أصابه الحزن ، وأخيراً حدّد للبنفسج اللون الأزرق بلون اليواقيت الزرقاء ، ليكون مشهد الطبيعة أمام عيني الكاتب أشبه بباقة متنوّعة الأزهار والألوان والروائح .

- **المؤثرات المشرقية :**

أسلوبا التفصيل والعطف كانا أبرز المؤثرات المشرقية في النص السابق ، ففصّل الكاتب في أنواع الأنوار وألوانها وصفاتها مستعيناً في ذلك بأسلوب العطف .

- **الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :**

١- <u>السجع</u> :

أتى السجع في هذه الرسالة عفوياً بعيداً عن التكلّف ، وأسهم في إغناء الموسيقا الداخلية للنص ، مثل (أينعت ، تنوّعت ، الخدود ، الغيد ، البنان ، العقيان) .

٢- <u>البديع</u> :

ظهرت المحسنات اللفظية في الرسالة مثل الجناس في قوله الجناس: (أنوار ، أزهارٍ) ، (أينعت ، تنوّعت) وقد أسهم الجناس في إضافة نغم موسيقي جميل .

٣- <u>الألفاظ والتراكيب</u> :

كانت الألفاظ سهلة وضحة بسيطة موحية بما أرده الكاتب في ذكره أنواع الورود والأزهار وصفاتها مثل (أنوار ، وأزهارٍ ، وردٍ ، الخدود ، الغيد ، سوسنٍ ، راحةٌ البنان ، حكى ..) .

ولمحنا في النص بعض الألفاظ التي تميل إلى الجزالة مثل (أينعت ، نرجس ، قُراضة ، العقيان ، خيريٍّ ، بنفسجٍ ، زُرق ، اليواقيت)

أما التراكيب فقد جاءت منسجمة مع المعاني التي أوردها الكاتب في ذكره أنواع الورود والأزهار وصفاتها .

٤- <u>الجمل الفعلية والاسمية</u> :

غلبت الجمل الفعلية على النص مما يدلّ على الحركة والتغيّر وعدم الاستقرار بما يناسب طرح الكاتب لموضوع الرسالة في تنقّله بين أنواع الأزهار والورود وصفاتها .

واعتمد الكاتب في سرده أنواع الأزهار وصفاتها على الأفعال الماضية مثل

(أينعت ، تنوّعت ، ثنت ، استعار ، حكى) في دلالة على ثبات تحقّقُ معاني تفتّح الزهر واكتماله .

أما الجمل الاسمية فلم نرَ في النص سوى قوله (كأنّه راحةٌ ثنت البنان على قُراضة من العقيان) في تشبيهه السوسن ، ممّا يدلّ على ثبوت معنى انكماش بتلات السوسن).

٥- <u>الصور</u> :

أورد الكاتب مجموعة من الصور في معرض حديثه عن الزهر وصفاته ، مثل قوله (فمِن وردٍ كتوريد الخدود) ليدلّ عل حُمرة الورد وجماله ، وقوله :(نرجسٍ كمُقَل الغيد) ليبيّن لنا ما يكون عليه لون النرجس وهو هنا قد يكون أخضر أو عسلياً ، وقوله : (سوسنٍ كأنّه راحةٌ ثنت البنان على قُراضة من العقيان) : السوسن أيضاً متنوّع الألوان ، لكن الكاتب أوضح لونه العسلي من خلال تشبيهه براحة ثنت البنان على قراضة من العِقيان أي الذهب ، أمّا قوله: (بذلة المحزون) : للدلالة على انحناء الساق الذي يحمل بتلات الخِيريّ التي توضّع بشكل عمودي فوق بعضها وكأنها إنسان أصابه الحزن .

٦- <u>المعجم الدلالي</u> :

تنوعت المعاجم الدلالية في النص بما يتناسب مع موضوع النصّ في وصف الأزهار والورود وأنواعها وألوانها ومن بينها <u>معجم الزهريات</u> مثل :(أنوار، أينعت وأزهارٍ ، وردٍ ، نرجسٍ ، سوسنٍ ، خيريٍّ ، بنفسجٍ حكى زُرق اليواقيت .."

ومعجم النساء مثل : (الخدود ، توريد ، مُقَل ، الغيد ، راحة ، البنان) ومعجم الألوان (أنوار، أزهارٍ ، وردٍ ، نرجسٍ ، سوسنٍ ، خيريٍّ ، بنفسجٍ ، زُرق ، قراضة ، العِقيان ، اليواقيت) .

- **خاتمة :**

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.

رسالة في وصف القحط وانحباس المطر

قال أبو عمر الباجي يتحدّث عن حكمة الله في انقطاع المطر وحلول الجدب :

" إنّ لله تعالى قضايا واقعة بالعدل ، وعطايا جامعة للفضل ، ونعماً يبسطها إذا شاء ترفيها وإنعاماً ، ويقبضها إذا أراد تنبيهاً وإلهاماً ، ويجعلها لِقومٍ صلاحاً وخيراً ، وعلى آخرين فساداً أو ضيراً .. وإنه كان من امتساك السُّقيا ، وتوقّف الحيا ، ما رِيع به الآمن ، واستُطِيرَ به الساكنُ ، ورجفت الأكباد فزعاً ، وذُهِلت الألباب جزعاً .. ومنعت السماء دُرَّها ، واكتست الأرض عُبرةً بعد خُضرة ، ولبست شحوباً بعد نُضرة "

مقدمة :

تعدّ هذه الرسالة من الرسائل الوصفية التي تعبّر عن صفة الأرض في أحوال قحطها وجدبها ، وما يكون فيه حال الناس في مثل هذه الظروف الصعبة ، وهي تقوم على الموازنة والمقابلة ، بين حالتي الأرض في الجدب والخصب .

وفي الرسالة التي بين أيدينا تحدّث أبو عمر الباجي عن حكمة الله في انقطاع المطر وحلول الجدب .

- **معاني النص :**

كان المشهد في هذه الرسالة يرتكز على وصف مشهد جفاف الأرض وجدبها وانحباس المطر عنها بعد فترة من الخير الذي شهدته تلك الأرض ، فكانت الرسالة موازنة أو مقابلة بين مشهدي القحط والأرض المروية بالغيث بطريقة غير مباشرة عبر ذكر نقيض الخير الذي شهدته تلك الأرض سابقاً والتفصيل فيه ، وحاول جعل السبب الرئيس لتلك المقابلة إظهارَ قدرة الله على العطاء ومنعه عن الناس من باب العدل والحثّ على الرجوع إليه على الدوام ، وعدم الاغترار بدوام النِّعَم ، فالله يبسط

نعمَه لمن أراد إنعاماً وترفيهاً بشرط أن يعلم من يقع عليه فضل الله أنه سبحانه وتعالى يمسك الخير عمّن يريد ويفسد عليه عيشه الرغيد ليعود إليه .

بعد ذلك رأينا الكاتب يذكر لنا نتائج احتباس الغيث ، فهو مدعاة لزوال نعمة الأمان وانتشار الآفات الاجتماعية من نهب وسلب وقلق دائمٍ من الجوع والعوز ولا يمكن في هذه الحالة أن يكون التفكير سليماً ، والقلوب مطمئنة ، ولا سيما لمن أدرك الأرض وهي في أبهى أشكالها ، لمن عرف الخير منها ثمّ حُرِمه .

- **رموز النص التي استخدمها الكاتب ودلالاتها:**

الدلالة الأولى التي أكّدها في بداية الرسالة **هي التسليم بأن الخير محصور بيد الخالق** ، وأنّ إغداق النِّعَم أو حجبها عن العباد بيد الله وحده ، ثمّ رأينا دلالة الجفاف من خلال (امتساك السُّقيا واتوقُف الحيا) ، وهذا الجفاف مدعاة **للخوف** من الجوع والعطش ، فيُراع به الآمن ويحلّ القلق في النفوس (استُطِير به الساكن) ، ولا ننسى **دلالات الألوان** في أخر الرسالة فاللون الأبيض للدرّ، والأصفر للجفاف والأخضر للربيع والخير (اكتست الأرض عُبْرةً بعد خُضْرة ، ولبست شحوباً بعد نُضرة)

- **المؤثرات المشرقية :**

المؤثر المشرقي البارز في نص الرسالة هو التفصيل والعطف ، سواءٌ عندما دعا الكاتب إلى التسليم بأنّ الخير ومَنعِه من عند الله وحده ، أم كان ذلك في وصفه آثارَ احتباس المطر على الأرض والبشر .

-الأساليب البلاغية واللغوية والتصويرية والفنية :

١- <u>السجع</u> :

أكثر الكاتب من السجع في نص الرسالة ، بهدف إظهار براعته اللغوية والأسلوبية وإغناء الموسيقا الداخلية للرسالة مثل قوله (بالعدل ، للفضل ، إنعاماً إلهاماً ، خيراً ، ضيراً ، السُّقيا ، الحيا ، الآمن ، الساكنُ ، فزعاً ، جزعاً ، خُضرة ، نُضرة)

٢- <u>البديع</u> :

تنوعت المحسنات البديعية في الرسالة بين محسنات معنوية رأينا فيها الطباق بقوله (يبسطها / يقبضها) (خيراً / ضيراً) (صلاحاً / فساداً) (عُبرة خضرة) ، مما يبرز التناقض الحاد بين الخصب والجدب وبين كرم الله وعطائه وحجبه النِّعَم عمَّن يريد.

كما أكثر من المحسنات اللفظية مثل الجناس في قوله (قضايا / عطايا (واقعة/ جامعة) (بالعدل / للفضل) (ترفيهاً / تنبيهاً) (إنعاماً / إلهاماً) (الآمن/ الساكن) (فزعاً / جزعاً) (الأكباد / الألباب) (اكست / لبست) مما يسهم في إغناء الموسيقا الداخلية للنص وإضافة نغم موسيقي جميل .

٣- <u>الألفاظ والتراكيب</u> :

كانت الألفاظ في معظمها تتسم بالسهولة والوضوح والبساطة والإيحاء بما أراده الكاتب في وصفه حالة الجدب وانحباس المطر مثل (الله ، تعالى ، بالعدل ، ، نعماً ، شاء ترفيهاً ، أراد ، إلهاماً ، صلاحاً ، خيراً ، فساداً ، كان ، امتساك ، الحيا ، الآمن ، الساكنُ ، الأكباد ، الألباب ، السماء ، واكتست ، لبست ،شحوباً)

كما اعتمد الكاتب على الألفاظ الجزلة التي كانت مناسبة لموضوع القحط والجدب الذي طرحه الكاتب كما في قوله : (قضايا ، عطايا ، جامعة ، يبسطها ، يقبضها يجعلها ، ضيراً ، السُقيا ، ريع ، استُطِير ، الأرض ، عُبرة ، خضرة ، نُضرة)

٤- **الجمل الفعلية والاسمية** :

بدأ الكاتب نصَّ الرسالة بجملة اسمية لم يأت بغيرها في قوله (إنّ لله تعالى قضايا واقعةً بالعدل) ليدل على ثبوت معنى حكمة الله وعدله في تدبير أمور الخلق .

واعتمد في باقي النص على الجمل الفعلية مثل (يبسطها ، شاء ، يقبضها ، أراد ، يجعلها ، ريعَ ، استُطِير، رجفت ، ذُهِلت ، منعت ، اكتست ، لبست) للدلالة على الحركة والتغير وعدم الاستقرار الذي تشهده الأرض فهي قد جفت وانحبس الماء عنها بعد أن كان الخير فيها مشهوداً.

وقد أكثر الكاتب من الأفعال الماضية مثل قوله (شاء ، أراد ، ريعَ ، استُطِير، رجفت ، ذُهِلت ، منعت ، اكتست ، لبست) للدلالة على تحقُّق معاني تغير أحوال الأرض والعباد بعد انحباس المطر وجفاف الأرض .

ووردت مجموعة من الأفعال المضارعة مثل قوله (يبسطها ، يقبضها ، يجعلها) للدلالة على تجدّد واستمرار تغيير الله الأرضَ من حال إلى حال .

٥- **الصور** :

وجدنا مجموعة من الصور في الرسالة ، وهو أمر معتاد في مثل هذا النوع من الرسائل الوصفية ، مثل (رجفت الأكباد فزعاً) ، (ذُهِلت الألباب جزعاً) وضّح فيهما شدّة الفزع والخوف من الجفاف وما ينتج عنه ، وقوله (منعت السماء دُرَّها)

أوضح فيها قيمة المطر العالية عند من يحتاجها ، (اكتست الأرض عُبرةً بعد خُضرة) أوضح فيها انقلاب حال الأرض من خصب وسقيا بماء السماء إلى جدب وانقطاع المطر الذي تساوي قيمته الجواهر النفيسة ، وقوله (لبست شحوباً)

يبيّن فيها الحال السيئة التي وصلت إليها الأرض بعد جفافها .

٦- **<u>المعجم الدلالي</u>** :

تنوّعت المعاجم الدلالية في الرسالة ، وكان تنوّعها أحد مصادر غناها من حيث الشكلُ والمضمون ، وساعدت في رسم مشهد الجفاف وانحباس المطر بصورة واضحة ، ومن هذه المعاجم **معجم العطاء** : (عطايا ، للفضل ، نعماً ،يبسطها ، إنعاماً ، ترفيهاً ، خيراً) و**معجم المنع** : (يقبضها ، امتساك ، توقّف ، منعت) و**معجم الخوف** : (رِيعَ ، استُطِير ، رجفت ، فزعاً ، ذهلت ، جزعاً) و**معجم الجفاف** : (امتساك ، توقّف ، عُبرة ، شحوباً) .

خاتمة :

إن النثر في العصر الأندلسي لبس أثواباً عديدة وكان في بعضه يحاكي التراث المشرقي أي يحاكي طرائق ابن المقفع وسهل بن هارون والجاحظ أو كتاب القرن الرابع مع ذلك كان لكل كاتب من هؤلاء خصوصيته في أخذ لون من هذه الألوان والنسج على منوالها، وإخراجها بنكهة أدبية خاصة تحدد ميوله وأساليبه.